مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (27) – العدد (01) (جوان، 2026) -ص 13- 24
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

تزييف التاريخ لأغراض إديولوجية: السرديات التوراتية اليهودية أنموذجا

Falsifying History for Ideological Purposes: Jewish Biblical Narratives as a Model

رشيد باقة[1]*، جامعة باتنة1، rachid_baka@ yahoo.fr
https://orcid.org/0009-0007-8701-0832

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ القبول
2025-03-25	2026-06-02	2026-06-02

ملخّص

يُستخدم مصطلح «تزييف التاريخ» للإشارة إلى ممارسة شائعة عبر العصور، تتمثل في قيام أطراف نافذة بإعادة صياغة أو تفسير الوقائع التاريخية بهدف فرض رؤية بديلة تخدم مصالح سياسية أو أيديولوجية أو دينية معينة. وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مختلف أشكال التحريف التاريخي مع التركيز، بشكل خاص، على السياق الصهيوني المعاصر الذي يستند إلى روايات توراتية مشكوكا في مصداقيتها، في محاولة لتبرير الاستيطان وادعاء السيادة على الأرض الفلسطينية؛ هذا على الرغم من وجود تناقض واضح بين تلك النصوص الدينية التوراتية وما كشفته الحفريات الأثرية الحديثة المدعومة بأدلة علمية مُوَثَّقة، ولتوضيح هذا الالتباس بين الأسطورة والتاريخ اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي النقدي باعتباره الأداة الأنسب للتمييز بين ما هو واقعي وما هو متخيّل، ويعيد الاعتبار للرؤية الموضوعية للتاريخ، بعيدًا عن التوظيف السياسي أو الإيديولوجي.

الكلمات المفتاحية

التزييف؛ السرديات الدينية؛ الأدلة الأثرية والتاريخية؛ التوظيف الإيديولوجي للأساطير التوراتية

Abstract

The term "falsification of history" is used to refer to a common practice throughout the ages, whereby influential parties rewrite or interpret historical facts to impose an alternative vision that serves particular political, ideological, or religious interests. This study aims to shed light on various forms of historical distortion, with a particular focus on the contemporary Zionist context, which relies on discredited biblical narratives in an attempt to justify settlement and claim sovereignty over Palestinian land. This is despite a clear contradiction between these biblical religious texts and the revelations of modern archaeological excavations supported by documented scientific evidence. To clarify this confusion between myth and history, we rely on the critical historical approach, considering it the most appropriate tool for distinguishing between reality and imagination, and for restoring an objective view of history, free from political or ideological exploitation.

Keywords

Falsification; Religious Narratives; Archaeological and Historical Evidence; Ideological Use of Biblical Myths

* المؤلف المراسل

***تمهيد**

يُعَدّ تزييف التاريخ بقصد التدليس والخداع لتحقيق أهدافا سياسية أو عرقية أو أيديولوجية أو غيرها من المقاصد التي تُلبي مصالح ورغبات معينة، كان، وما زال، أحد الأساليب المتبعة لدى الكثير من الدول والمجتمعات البشرية على مر التاريخ. يحدث التزوير التاريخي، في غالب الأحيان، عندما تقوم جهة ما، عن عمد وبنية مبيتة، بالتلاعب بالوثائق التاريخية من خلال حذف مقاطع نصية منها أو إضافة نصوص مستحدثة إليها، بغرض استبدال بعض الحقائق التاريخية اَلْمُثَبَّتَةُ لصالح مجموعة من المعلومات والأخبار اَلْمُلَفَّقَةُ. كما تعتبر الأساطير المتخيلة والروايات الافتراضية التي تستعمل، إلى حد كبير، لاستمالة عواطف الجماهير نحو معتقدات معينة، أو لتعزيز هويات قومية ووطنية بمثابة شكل من أشكال التحريف الخطير للتاريخ؛ أو كما يروق للبعض التعبير عنها بـمصطلح "صناعة الباطل".

ونظرًا لأن عمليات التزوير غالبًا ما تجد طريقها إلى الكتب المدرسية، أو الى غيرها من وسائل الإعلام الموجَّهة بخلفيات ومصالح وطنية أو أيديولوجية، فإن كشفها وتصحيحها عبر البحث الأكاديمي الرصين يصبح مهمة بالغة الصعوبة. لذلك توافق رأي خبراء المنهجية التاريخية على أن السبيل الأمثل للوصول إلى الحقيقة التاريخية عند دراسة أحداث الماضي، لا يتحقق بالاعتماد الأعمى على الروايات التقليدية المتوارثة، إنما من خلال ممارسة النقد المنهجي الصارم امصادر التاريخ بمختلف أنواعها. بحيث لا يمكن الركون إلى أي مصدر تاريخي دون إخضاعه لفحص علمي دقيق للتأكد من أصالته وموثوقيته ومدى انسجامه مع الأدلة والشواهد المتاحة.

****توظيف الأساطير التوراتية لتغييب التاريخ الفلسطيني**

رغم ما قد يبدو من تشابه ظاهري بين التاريخ والأسطورة في بعض الجوانب، ومع ذلك فإن بينهما اختلافاً جوهرياً في تناول أحداث الماضي. فالتاريخ يُعنى برصد الوقائع البشرية التي حدثت فعلاً على أرض الواقع خلال مدة زمنية محددة، ويستند في ذلك على مصادر موثقة تدعم صحته. أما الأسطورة، فهي تستمد مادتها من روايات ومعتقدات شعبية قديمة يغلب عليها الطابع الخيالي، وغالباً ما تكون مجهولة المصدر، بحيث يتداخل فيها الخيالي مع الحقيقي، كما ان بعضها غير قابل للطعن أو التغيير، لا سيما الأساطير التأسيسية التي تشير الى شرح أصول نشأة أمة، أو مدينة، أو دين، مما يجعل من الصعب التحقق من صحتها .(Encyclopaedia Britannica, n.d) علاوة على ذلك فأن الأساطير لا تنتقل إلينا بواسطة الكتابات المدونة على المواد الصلبة مثلما هو الشأن بالنسبة للأحداث التاريخية، ولا تنسب لمؤلف بعينه، انما تتبع طريق السرد الشفوي من جيل إلى آخر. كما قد يتم احداث تعديلات على الاسطورة، مع مرور الزمن، لإبقائها ملائمة وحيوية. ولهذا السبب، لا تزال العديد من لأساطير والخرافات حاضرة بقوة في حياتنا اليومية، وبصفة خاصة في مجالي السياسة والقانون. ولعل أبرز مثال على ذلك هو الأساطير الدينية الإسرائيلية التي وُظّفت كمرجعية لتبرير قيام للدولة اليهودية على أرض فلسطين. (روجي غارودي ،1998، ص41)

اننا لا نبالغ إذا قلنا إن محاولات تزييف التاريخ كانت وما زالت السمة الرئيسية للأنظمة المستبدة والجماعات ذات النزعات العنصرية، مدفوعة بأطماع اقتصادية أو دوافع سياسية أو اعتبارات عرقية، أو غيرها من المصالح الضيقة التي تخدم أفرادًا أو جماعات بعينها. لقد اعتادت الشعوب، منذ

بواكير وجودها، ولا سيما في الأزمنة التي سبقت شيوع المنهج العلمي، اللجوء الى إضفاء نوع من العظمة والقداسة على أصولها العرقية ومعتقداتها الدينية ونظمهما الاجتماعية وتقاليدها الثقافية من خلال نسج ملاحم تُمجّد انتصارات بطولية وهمية، بمباركة من آلهة غيبية، الى أن غدت تلك الأساطير الغريبة، مع تعاقب الأجيال تمثل ركنًا راسخًا في وعيهم الجمعي، وجزءاً كبيرًا من صورتهم الذاتية، ومنطلق اعتزازهم وفخرهم، وحافزًا يدفعهم إلى التطلع نحو مستقبل أكثر إشراقًا. ولما كان من النادر ما تتفق تلك الصورة الوهمية المستمدة من الماضي البعيد مع الحقائق التاريخية على أرض الواقع، وبصفة خاصة عندما يتعلق الأمر بالحقائق الخطيرة ذات المصلحة العامة، فإنه في هذه الحالة غالبا ما يتم اللجوء الى تعديل تلك الصورة المبهمة، الملتبسة، من خلال القيام بحذف الحقائق الغير مرضية والإبقاء على الحقائق المريحة، وفق ما يتناسب مع النوايا العامة الوطنية أو الدينية.

لقد بين لنا التاريخ على مر العصور أن أيِّ أمةٍ من الأمم، أو أيِّ مجموعة إثنية، أو طائفة دينية عندما تتعرض إلى خطر ما يهدد كيانها ووحدتها القومية، فإنها لا تلبث أن تعود دائمًا إلى تلك الصور المشرقة في ماضيها للاعتزاز بها، بحكم أنها ترى فيها تراثها البطولي الفريدً والمتميزً. وبطبيعة الحال، فإن هذا الادعاء الزائف قد يسهم تدريجيًا في تحويل الأسطورة الخرافية إلى تاريخ مقدس، يُكرّس رؤية المجتمع للعالم ويعززها. لقد ثبُت تاريخيًا أن بعض الشعوب أو الجماعات العرقية، حينما لا ترضى أو لا تقتنع بما سجّلته المصادر التاريخية عن إخفاقاتها عبر العصور، فإنها غالبا ما تميل إلى اختلاق روايات تاريخية بديلة تنسجم مع معتقداتها الأسطورية. وينطبق هذا الأمر تمامًا على التاريخ الإسرائيلي القديم. (Goff, 1988, p. 320)

كما هو متعارف عليه فإن الهوية اليهودية قد تأسست على مجموعة من المعتقدات والطقوس الدينية القديمة. لذلك كان اليهود وما زالوا يولون اهتماما كبيرا بالتاريخ، أو بالأحرى **(تاريخهم)** الذي يجدونه محفورا في كتبهم الدينية القديمة. فمن خلال الوقوف على محتوى كتب اليهود التاريخية نعرف أن التاريخ عند اليهود ليس مجرد سلسلة من الأحداث العشوائية التي صنعها الإنسان على مر الزمان، بل هو رواية مقدسة تحمل معاني روحية وأخلاقية من تأليف إله بني إسرائيل، تبدأ بخلق العالم وتسير في مسار موجه نحو هدف نهائي. التاريخ في نظر اليهود مرتبط بوجود اللّه، واللّه هو علة التاريخ وأنه، دوما، وبصفة مستمرة، على صلة بالبشر يوجه تاريخ الأمم من بداية العالم الى نهايته ويعطيه هدفا محددا، وفق خطة محكمة سلفا هدفها النهائي هي تمكين سيادة شعب بني إسرائيل في الأرض على بقية الأمم والشعوب الأخرى. (Scholem, Bollack, & Bourdieu, 1980) كما يعتقد بنو إسرائيل أن هذا الإله قد أبرم ميثاقا معهم بأن باركهم وجعل منهم أمة عظيمة، مفضلة على جميع البشر (**شعب اللّه المختار**)، وأكرمهم، على حساب غيرهم، بأن منحهم حقوقاً تاريخية في فلسطين، وجزئا كبيرًا من أراضي الشرق الأوسط تمتد من النيل الى الفرات. لذلك فإن اليهود عندما يستخدمون مصطلح **"التاريخ"** فإنهم لا يقصدون به معرفة الأحداث البشرية التي دونتها المصادر التاريخية بمختلف أنواعها، وإنما يستعملونه، بصفة خاصة، لإضفاء الشرعية على الخرافات والأساطير التي جاء ذكرها في كتابهم المقدس (التوراة). (المسيري،1999، ص. 25)

لقد فهم أحبار اليهود أن كتابهم التوراة " "Torahيعد المصدر الأول والأساسي لتاريخهم التليد، بحكم انه يتضمن دلالات لاهوتية وأخلاقية تنطوي عليها مجمل ممارسات اليهود ونمط حياتهم، حتى المثل العليا والأفكار والاعتقادات التي استقرت داخل عقولهم هي من صميم الديانة اليهودية. فالديانة اليهودية ليست مجرد عقيدة وإيمان وشكل من إشكال العبادة، بل هي أكثر من ذلك: قواعد ونظم وقيم أخلاقية، وحتى نظرتهم للعالم .(Guigui, 2015, p. 76) وبما أن التوراة هو كتاب مقدس عند اليهود فإن الوقائع التاريخية التي وردت فيه مثل: رحيل إبراهيم إلى أرض كنعان، وخروج بني إسرائيل من مصر ودخولهم الى فلسطين، وكل ما تعلق بانتصاراتهم وهزائمهم؛ وحتى بناء مملكتي داود وسليمان، والمعبد الديني المقدس (الهيكل) الذي يجمع حوله جُلّ طوائف المجتمع اليهودي...إلخ. ما هي في نظر اليهود ألاّ إعلان صريح عن العلاقة الخاصة بين اللّه وشعبه المختار؛ ومن ثمة فهي في نظر اليهود تعد بمكانة المسلمات التي لا يمكن التشكيك فيها، بل الأكثر من ذلك فأنه يُفْرَضُ الاعتراف بها من دون حاجة الى الاثبات أو الاستدلال عليها. (Yerushalmi, 1984, p. 8)

فالتاريخ، من وجهة نظر اليهود هو تاريخ بني إسرائيل ''شعب اللّه المختار'' في المقام الأول، وهو تاريخ البشرية، بصفة عامة، في المقام الثاني. لذلك فهم يقسمون الجنس البشري إلى قسمين: بنو اسرائيل (شعب اللّه المفضل) و" الجوييم "Goyimوهم بقية الشعوب الأخرى التي خلقهم اللّه ليكونوا خداما لبني اسرائيل. .(Deutéronome (2 :14حتى في تفسيرهم لمسألة النفي والتشريد التي لحقت بهم على عدة مراحل فهم يرجعونها إلى المشيئة الإلهية، ويعتقدون بأن ذلك قد حدث بأمر من اللّه لكي يتيح لهم أن يؤدوا رسالتهم كاملة على أحسن ما يرام.

على أساس هذه القناعات الوهمية بدأ يتشكل لدى اليهود اعتقادا راسخا بأن التاريخ مُسَيّرا ومُوَجّها من قبل إله إسرائيل نحو نهاية حتمية، تتمثل في مجيء المسيح المنتظر (المنقذ أو المُخلِّص) الذي سينقذ الشعب اليهودي المختار من العبودية بعد تشتُّتهم، ويقودهم الى الانتصار والسيطرة على العالم. .(Bohrmann, 1988, p. 26)ومنذئذ لم يتوقف رجال الدين الصهاينة عن تكرار تلك "الذكريات والقصص التوراتية" التي انتقلت إليهم عبر التراث الشفهي، وأضحت غذاءً يوميًا للتعليم الوطني. (Yerushalmi, 1984, pp. 9–10)بما يعنى، أنه إذا كان قد تأسست مملكة إسرائيلية قديمة في فلسطين على يدي داوود وسليمان-كما جاء في روايات العهد القديم-واستطاعت هذه المملكة محاربة الفلسطينيين وانهاء هيمنتهم على المنطقة، بعد أن نازل داوود جالوت وقتله، فان هذا الوضع قد منح لبنى إسرائيل – حسب زعمهم-أحقية السيطرة المطلقة على أرض كنعان وفلسطين. (ديورانت، د.ت.، ص. 324). ومن هنا جاءت قناعة اليهود الراسخة عن مصداقية الرواية التوراتية. كتب الجنرال موشي ديان - Moshe Dayanالمحرض الرئيسي لحرب أكتوبر- في جريدة The Jerusalem Post, 1967)) غداة انتصار الجيش الإسرائيلي على الجيوش العربية في حرب الستة أيام، واستلائه على مساحات شاسعة من الأراضي العربية في كل من فلسطين والأردن ومصر وسوريا ولبنان، قائلا: " **إذا كنا نملك التوراة ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة**. (Garoudy, 1998, p. 41)

*****التاريخ يعرّي الأسطورة الصهيونية ويكشف زيفها**

ثمة فاصل واضح بين التاريخ والأسطورة. اَلتَّارِيخ يركز على الأحداث البشرية الحقيقية التي جَرَتْ وَقَائِعَها في السنين الخوالي، ويسعى دائما، بكل دقة وموضوعية، لفهم ما حدث بالفعل في تلك الحقبة دون زيادة ولا نقصان، مستندا في ذلك إلى مصادر موثوقة، وأدلة ملموسة يمكن التحقق منها على أرض الواقع. إن التاريخ الحقيقي لا يُبنى على روايات مُخْتَلَقَة أو سرديات متأثرة بالأهواء العقائدية، كما هو حال بعض نصوص العهد القديم، بل يُستمَدُّ من الشواهد الحضارية المحفوظة في طبقات الأرض والتي تعكس أنماط حياة الشعوب وهويتهم السياسية والاجتماعية. فالتاريخ، في جوهره، وثيقة إثبات للهوية والانتماء، يستند إلى مصادر علمية وأثرية دقيقة، تقوم على أساليب بحث صارمة ومنهجيات قائمة على النقد والتحقيق. في المقابل، فان الْأُسْطُورَةُ لا تعدو ان تكون مجرد رواية خيالية تشكلت داخل الوعي الجماعي في لحظة زمنية معينة لإيجاد تفسير لبعض الظواهر الطبيعية، أو للإشارة إلى شخصيات خارقة، أو لفرض تعاليم دينية وأخلاقية معينة. علاوة على ذلك فأن الأسطورة لا تنتقل إلينا بواسطة الكتابات المدونة على المواد الصلبة مثلما هو الشأن بالنسبة للتاريخ، ولا تنسب لمؤلف بعينه، انما تتبع طريق السرد الشفوي من جيل إلى جيل، مما يجعل من الصعب إثبات صحتها. (ابن منظور، د.ت.، ص. 363). كما قد يتم كذلك احداث تعديلات عليها مع تعاقب الأجيال لإبقائها جديدة وحيوية، وهذا ما جعل العديد من الأساطير والخرافات لا تزال موجودة بقوة في حياتنا اليومية، وبصفة خاصة في السياسة والقانون. لدى يمكن القول ان الأسطورة هي نوع من **"التاريخ بلا دليل"**. وهذا ليس مفاجئاً، لأنها لا تكْسِبْ قوتها من خلال إثبات نفسها، بل من خلال قدرتها على فرض انطباعاتها في الوعي الجماعي. وأحسن مثال على ذلك الأساطير الدينية الإسرائيلية المؤسسة للدولة اليهودية على أرض فلسطين.

من المتعارف عليه ان فلسطين تعد من أغنى دول العالم من حيث الآثار التاريخية القديمة، وهي تنافس مصر والعراق واليونان في هذا المجال بحكم عدد الحضارات التي ظهرت وترعرعت على أرضها. يأتي في مقدمتها الحضارة الكنعانية التي لا تزال آثارها ظاهرةً للعيان الى غاية الوقت الحالي. تليها تلك التي تأثرت بها وتركت بصماتها عليها: ابتداءً بحضارة مصر الفرعونية، مرورًا بالحضارات البابلية والآشورية واليونانية والفارسية والرومانية والبيزنطية، وانتهاءً بالحضارة الاسلامية؛ مما قد يعطي انطباعا عاما لدى كل من يركز على دراسة تاريخ هذه المنطقة بأن الوجود الإسرائيلي القديم في فلسطين يبدو كلحظة قصيرة جدا مقارنة مع التاريخ الفلسطيني الطويل (وايتلام، 1997، ص 8) لكن منذ عام 1948م، تاريخ اعلان قيام دولة اسرائيل في فلسطين، بدأت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تولي اهتماماً خاصاً بالآثار التي تحمل الهوية الفلسطينية، وتم لأجل ذلك تشكيل لجان من علماء الآثار الإسرائيليين للقيام بعمليات الحفر في كل جزء من أرض فلسطين، بهدف تهويد الآثار الفلسطينية وطمس معالم التاريخ الفلسطيني. وكل ذلك لأجل اختلاق رواية تاريخية مستوحاة من النصوص الدينية التوراتية تكون نهايتها محو الهوية الفلسطينية في مقابل بناء وترسيخ الهوية الوطنية اليهودية. (Pirinoli, 2005, pp. 67–68)

على ان أول ما يلفت النظر في هذه الروايات التوراتية هو أن جل المعلومات التي تحدثت عن الوجود اليهودي في فلسطين قد اعتمدت، بشكل حصري، على نصوص من العهد القديم، من دون أن

تدعمها بأدلة مادية أو وثائق تاريخية معاصرة، ولا حتى بأي شواهد أثرية أو مصادر خارجية تؤكد صحة تلك الروايات التي كثيرًا ما توصف في نظر العديد من الباحثين بالأسطورية والمُخْتَلَقَة. ومع ذلك، فقد شُكلت هذه السرديات أساسًا أيديولوجيًا استندت إليه الحركة الصهيونية لتبرير مشروعها الاستيطاني في فلسطين. لذلك كان من الطبيعي، بالنسبة لأي باحث يستقرأ الأحداث بعين المؤرخ المتخصص، ويعتمد في دراسته للتاريخ على شرائع الأدلة النقدية والعلمية، أن يشكك في مصداقية تلك القصص والروايات التوراتية ويعتبرها مجرد أساطير ذات خلفيات ميتافيزيقية، لكونها مليئة بأشياء لم يكن من الممكن حدوثها. وربما هذا ما جعل العديد المؤرخين وعلماء الآثار المعاصرين يميلون إلى الاعتقاد بأن ثمة خطأ في قراءة وفهم النصوص الدينية التي وقع فيه المفسرون اليهود. هذا إن لم يكن أولئك الشراح والمفسرون الدينيون قد تعمدوا التزوير والتزييف عن سبق الإصرار والترصد، مما ترتب على ذلك تشويه حقائق الوقائع التاريخية التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس "التوراة". على أساس ان تفسير النصوص الدينية لا يضمن دائماً الوصول إلى معانيها الواضحة أو أهدافها الحقيقية. بل في كثير من الأحيان، قد يؤدي الشرح والتفسير إلى إنتاج معانٍ مختلفة تتضمن تأويلات متعددة، مما قد يساهم في الابتعاد عما تحتويه تلك النصوص في جوهرها من مضامين. هذا زيادة على ذلك، فان جل الاجتهادات لتفسير أحداث التاريخ تبقى مؤقتة، عرضة للتغييرات في كل مرة يتم فيها اكتشاف معلومات جديدة، أو سماع أخبار مستجدة، أو اظهار شروحات مُسْتَحْدَثة.

ليس من الصعوبة بمكان تقديم بعض الأمثلة التاريخية الملموسة لإثبات زيف الدعاية الصهيونية بشأن أحقية إسرائيل في أرض فلسطين. يتعلق المثال الأول بمسألة أرض الميعاد التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقا(عهدا) قائلا: " لنسلك سأعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير (نهر الفرات)". (سفر التكوين 15:18)

من خلال التدقيق في هذه الآية نكتشف بوضح ان اللّه لم يشر فيها صراحة الى انه سينتزع الأرض الممتدة من نهر مصر الى نهر الفرات من سكانها الأصليين (الكنعانيين) ويمنحها هدية لذرية إبراهيم لتكون ملكية خالصة لهم وحدهم دون غيرهم. كما لا توجد إشارة في هذه الآية توضح بان اللّه قد أعطى أمرا صريحا لبني إسرائيل بأن يقتلوا كل من يجدونهم فوق هذه الأرض التي مَلّكَهُم إيَّاهَا بمرسوم إلهي. فضلًا عن ذلك، فإن مصطلح ''نسل إبراهيم'' – كما ورد في الإصحاح – لا يقتصر على ذرية يعقوب (إسرائيل) وحدهم، بل يشمل أيضًا أبناء إسماعيل، الابن البكر للنبي إبراهيم. فلماذا إذًا يُصرّ الصهاينة، في زمننا المعاصر، على إنكار حق أحفاد إبراهيم من نسل إسماعيل في الأرض الموعودة. انه من غير المعقول أن يقطع اللّه عهدا قائما على العنصرية والتمييز بين عباده. اللّه لا يمكن ان يكون عنصريًّا تجاه عباده الذين خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها.

من ناحية أخرى، وحتى إذا افترضنا – جدلًا – صحة الادعاء بوجود وعد إلهي يمنح أرضًا معينة لذرية النبي إبراهيم عليه السلام، فكيف يمكن لليهود أن يزعموا أن هذا الوعد يخصهم دون سواهم، وكأن النبي إبراهيم كان يهوديًّا مثلهم؟ والحقيقة أن هذا الادعاء يتناقض مع الوقائع التاريخية، إذ أن النبي إبراهيم قد عاش في زمن قبل نزول التوراة على النبي موسى عليه السلام بما يقارب سبعمئة سنة، حسب ما أكّده أهل العلم. بل إن القرآن الكريم قد فنّد ادعاء كل من اليهود والنصارى بالانتساب

الديني إلى إبراهيم عليه السلام، وأوضح أن هذا الانتساب باطل، لأن إبراهيم عاش قبل أن يُنزَّل التوراة على النبي موسى والإنجيل على النبي عيسى عليهما السلام. "" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين". (آل عمران الآيات: 65- 68) وقوله في موضع آخر: "أم تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَـقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون". (البقرة، 140)

أما المثال الثاني الذي نسوقه على الأساطير المؤسسة للدعاية الصهيونية، والذي لا يقل أهمية عن أسطورة الأرض الموعودة في الوجدان اليهودي، فيتعلق بمدينة أورشليم القديمة، التي يزعم الصهاينة أنها هي ذاتها مدينة القدس، وأن الملك داود عليه السلام هو من قام ببنائها، وأقام فيها، وجعلها مقر حكمه. غير أن هذا الادعاء يفتقر إلى أي دليل مادي ملموس، سواء من النصوص التوراتية ذاتها أو من نتائج الحفريات الأثرية التي امتدت لأكثر من سبعة عقود، منذ إنشاء الكيان الاستيطاني في فلسطين. لقد أظهر النقد التاريخي المتواصل لتلك الروايات المتعددة والمتضاربة حول نشأة مملكة إسرائيل المزعومة وعاصمتها أورشليم، أن هذه الروايات لا تتجاوز كونها فرضيات لاهوتية محتملة، تفتقر إلى الدقة العلمية، ولا تستند إلى معايير منهجية موضوعية في البحث التاريخي، مما يجعل الاعتماد عليها أمرًا غير مقبول من الناحية العلمية. (وايتلام، 1997، ص 8) وتتجلى هشاشة هذه المزاعم في غياب أي شواهد أثرية تدعم فكرة وجود مملكة داود في القدس، على الرغم من أن فترة حكمه – بحسب الروايات الدينية – امتدت لأربعين عامًا، ومع ذلك لم يتم العثور، الى يومنا هذا، على أي آثار تُنسب إلى ذلك العهد، لا في موقع أورشليم المفترض، ولا في محيطها. (السواح، 2001). كما ان يُضعف هذه الرواية أكثر أن النصوص التوراتية نفسها لا تتضمن أي ذكر صريح، أو حتى تلميح بسيط يشير إلى أن أورشليم هي مدينة القدس، كما يدّعي بعض اللاهوتيين التوراتيين. (Encyclopaedia Britannica, n.d)

على ان ما يعزز الأطروحة التي تقول بأن أورشليم ليست هي القدس، بشكل جلي وحاسم، وأن الربط بينهما ما هو إلا دعاية مفبركة لأغراض سياسية محددة، ما كشفته نتائج الدراسات الأثرية الحديثة. فقد أفضت عقود من الأبحاث الأركيولوجية التي أجراها عدد من خبراء الآثار في فلسطين على مدى ستين عامًا إلى نتائج تنسف الرواية التوراتية التقليدية من أساسها. ومن بين هؤلاء الخبراء يبرز اسم العالم إسرائيل فلنكشتاين Israël Flinkstein، أستاذ علم الآثار

المتخصص في العصرين البرونزي والحديدي – وهما المرحلتان التاريخيتان اللتان يُفترض وفق الرواية الدينية أن اليهود تواجدوا خلالهما في فلسطين – حيث أكد في أبحاثه أن جميع المكتشفات الأثرية العائدة الى تلك الفترة لا تشير إطلاقًا إلى أي حضور عبري في المنطقة يدعم ما جاء في النصوص التوراتية. (Finkelstein & Lipschits, 2011, p. 3)

لقد قام علماء الآثار بمسح شامل ودقيق للأراضي الفلسطينية، بحثًا عن أي آثار تُنسب لليهود دون أن يُعثروا على شيء يُذكر. بل على العكس من ذلك، فإنهم كلما توغلوا في أعمال الحفر تكشفت آثار فينيقية وكنعانية تشهد عن الوجود التاريخي العميق للشعوب الأصلية في هذه الأرض، قبل آلاف السنين من دخول بني إسرائيل إليها .(Sand, 2008, p. 3) هذه الاكتشافات دفعت فلنكشتاين نفسه إلى التشكيك في مصداقية عدد من السرديات التوراتية، مثل: هجرة الآباء، الخروج من مصر، غزو أرض كنعان، وحكم الملك داود، معلقًا على ذلك بقوله: " **جميع هذه الوقائع بعيدة كل البعد عن الحقيقة كما صورها الكتاب المقدس** ". أما الدليل الثالث الذي يستند إليه المؤرخون في مناقشة مسألة التحريف والتزييف في المصادر الدينية اليهودية القديمة فيتعلق الأمر بأسطورة الهيكل المقدس - (The Holy Temple)، والمعروف في اللغة العبرية بـ "**بيت همقداش**" (Beit Hamikdash) أي **البيت المُقَدَّسْ**. هذا الصرح الديني العظيم، كما صوّرته التوراة، يبدو وكأنه أعظم إنجاز مادي يدل على استقرار بني إسرائيل في أرض فلسطين، خاصة وأن تصميم هذا المبنى الفخم الذي استغرق انجازه سبع سنوات، ويُنسب لأحد أعظم ملوك بني إسرائيل، سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ. فعلى الرغم من عدم وجود أثر مادي لهذا المعبد على أرض فلسطين، إلا أنه لا يزال يشغل مكانة خاصة في وجدان الشعب اليهودي لارتباطه بطقوس دينية تعرف بـأعياد الحج الثلاثة: عيد الفصح، عيد الأسابيع وعيد المظال. إذ يُعتقد في الموروث الديني الإسرائيلي أن الله ينزل خلال هذه الأعياد الى بيت همقداش. " **ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَحضر جَمِيعُ ذُكُورِ اسرائيل أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ**". (سفر الخروج 23:34)

تجدر الإشارة إلى أن المعلومات المتوافرة بشأن ما يُعرف بـ«معبد سليمان» (The Temple of Solomon)تعتمد بدرجة كبيرة على النصوص التوراتية، إذ لم يتمكن علماء الآثار حتى الآن من العثور على أدلة مادية حاسمة تؤكد وجود هذا الهيكل أو تحدد خصائصه المعمارية بصورة يقينية. والغريب في الأمر أن هذا الصرح الديني الفخم، المقدس-حسب ما جاء في الرواية التوراتية- (الملوك 1: 6- (1-38) هو أن أعمال التنقيب الأثري التي أُجريت في المكان الذي يعتقد أن الهيكل شُيّد عليه في مدينة أورشليم (القدس) لم تفض عن العثور على أي أثر مادي حتى ولو كان حجر واحدا يثبت وجود هذا المعبد التاريخي؛ بل فإن الموقع الذي بني عليه هذا المعبد لا يزال، هو الآخر، غير محدد بدقة الى وقتنا الحاضر. وهذا ما دفع عالم الآثار الإسرائيلي فنكلشتاين إلى التصريح مجددًا: " **بأن جزءاً كبيرًا من روايات التوراة ليس سوى دعاية ذات طابع أسطوري**". (Finkelstein & Römer, 2019, p. 336)من جانبه، أقر البروفيسور الإسرائيلي "**زئيف هرتسوغ** " **Zeev** Herzogالمتخصص في علم الآثار الاجتماعي في جامعة تل أبيب بهذه الحقيقة المثيرة للجدل، في مقال له نُشر باللغة العبرية تحت عنوان: "*الثورة العلمية في علم آثار أرض إسرائيل*". أوضح فيه: "**أن الحقبة التوراتية لم تقع مطلقاً على أرض فلسطين، وأنه لا توجد أي أدلة أثرية تثبت صحة الروايات الواردة في التوراة**. (Herzog, 2002, pp. 56–57)

في المقابل، فلقد اكتشف باحثو الآثار مجموعة من النقوش الأصلية داخل معبد فرعوني في مصر، تناولت معلومات عن فلسطين القديمة. أظهرت عن وجود اختلافات بارزة مع ما ورد في النصوص التوراتية العبرية، الأمر الذي دفع العديد من المؤرخين إلى التشكيك في صحة ومصداقية

الروايات الشفهية التي تنقلها التوراة. يتعلق الأمر، بشكل خاص، بنقيشة فرعونية وجدت منحوتة على جدران معبد آمون بالكرنك، بمدينة طيبة الفرعونية القديمة (الأقصر المصرية حاليا)، عرفت بـ" نقيشة غزوة شيشنق الأول .(Sheshonq (I) (Encyclopaedia Britannica, n.d.هذه النقيشة hgjd وثقت معلومات وحقائق عن حملة الفرعون شيشنق الأول حوالي عام 925 قبل الميلاد أظهرت تتباينا كليًا عما ورد ذكره في الروايات التوراتية، مما جعلها إشارة واضحة على التناقضات المعرفية بين التاريخ الموثق والأسطورة الدينية. جاء في بعض النصوص الدينية من العهد القديم: (سفر الملوك الأول 14: 25-28)، و(سفر أخبار الأيام الثاني12 : 2-9) أن شيشنق الأول، ملك مصر، غزا أورشليم على عهد حكم الملك رحبعام ابن سليمان، واستباح "بيت الرب" (الهيكل المقدس)، ونهب خزائنه من الذهب والكنوز الثمينة التي كان قد وضعها فيه النبي سليمان، ثم عاد بها إلى مصر. لكن بالرجوع الى الرواية التاريخية الأصلية لحادثة غزوة شيشنق لبلاد كنعان، كما سُجِّلَتْ منحوتة عل جدران معبد الإله آمون-رع بالكرنك نلاحظ ان النصين يختلفان كل الاختلاف فيما يتعلق بسرد مجرى الوقائع. فالنص الأثري لا يذكر مطلقاً مملكة سليمان، ولا يشير، بأي شكل من الأشكال، إلى مدينة أورشليم، أو إلى الهيكل المقدس "بيت الرب"، كما جاء ذكره في التوراة، المرجع الديني لبني اسرائيل. بل على العكس من ذلك، فان نقيشة غزوة شيشنق الأول التي تعد وثيقة رسمية وأثرية أصلية، تذكر قائمة تضم حوالي 150مدينة كنعانية، استهدفها شيشنق خلال حملته المظفرة لبلاد الشام. من بين تلك المدن نذكر على سبيل المثال: تعنك، بيت شان، رحوب، جبعون، شارون، أيالون، مجدو، فنوئيل، عراد، شفيلا، ووادي يزرعيل...الخ. مع العلم ان جميع هذه المدن تقع ضمن المناطق الممتدة بين الأردن وفلسطين (.(Levin, 2012, p. 43ومع ذلك لم يتم الاشارة فيها، ولو تلميحا، الى مدينة أرشاليم، ولا الى المعبد المقدس. مما أثار تساؤلات عديدة لدى المؤرخين بشأن هذا التباين الواضح بين الرواية التاريخية المنقوشة والرواية التوراتية المنقولة حول نفس الحادثة.

كتب الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا Baruch Spinoza في أطروحته **"رسالة في اللاهوت والسياسة** " Tractatus theologico-politicus": أَنَّ اَلْقَاعِدَةُ اَلْعَالَمِيَّةُ اَلَّتِي يَجِبُ وَضْعُهَا فِي تَفْسِيرِ اَلْكِتَابِ اَلْمُقَدَّسِ هِيَ أَلَّا نَنْسِبَ إِلَيْهِ أَيَّ تَعَالِيمِ أُخْرَى غَيْرِ تِلْكَ اَلَّتِي أَظْهَرَهَا لَنَا اَلتَّحْقِيقُ اَلتَّارِيخِيُّ بِوُضُوحٍ شَدِيدٍ". (Spinoza, n.d., pp. 81–92) بما يعنى أنه لا ينبغي لنا، عند تفسير الكتاب المقدس، أن ننسب إليه الأحداث التي لم يتم التحقق منها بالأدلة التاريخية الموثقة.

نتائج الدراسة

خلصت الدراسة إلى أن إجمالي الاكتشافات الأثرية التي أُجريت في فلسطين أظهرت عدم وجود دلائل مادية تُعزز السرديات التوراتية، مما يثير تساؤلات جدية حول مصداقية هذه الروايات من الناحية التاريخية. بدليل أنه لم يتم العثور، بصفة مؤكدة، على أي أثر عبري أو مصري يُثبت وجود مستوطنات بشرية في فلسطين خلال العصر البرونزي الوسيط (1800–1400 ق.م) على نقيض ما ذُكر في نصوص الكتاب المقدس. كما لم تعثر الحفريات الأثرية على أي بقايا عبرية أو مصرية تُشير إلى أنه في عهد الملكين داود وسليمان (من حوالي 1050الى930 قبل الميلاد)، نشأت مملكة عظيمة ومزدهرة امتدت أراضيها من غزة إلى نهر الفرات، كما ورد في الرواية التوراتية. حتى مدينة أورشاليم

لم تكن، حسب هذه المعطيات الأثرية، عاصمة لتلك المملكة المتحدة المأهولة بالسكان، كما جاء وصفها في الكتاب المقدس في أكثر من موضع. بل على العكس من ذلك فان البحوث الأثرية التي أجريت على أرض فلسطين، بعرضها وطولها، قد بينت أن أغلبية ما ورد ذكره في نصوص العهد القديم لا يستند إلى وقائع تاريخية مثبتة: فلا العمارة، ولا الكتابة المنحوتة على الأثار، ولا السجلات والقوانين التي دونتها الحضارات المجاورة لفلسطين تشير بوضوح الى الحضور العبري في هذه المنطقة خلال تلك الحقبة. بل وحتى أشهر ملوك التوراة، داوود وسليمان، لا يوجد لهما أي ذكر في المصادر التاريخية، أو الأثرية خارج نطاق العهد القديم. وخير برهان على ذلك انه عند مقارنة الرواية المذكورة في التوراة عن حملة شيشنق (فرعون مصر) على مملكة اسرائيل مع نص نقيشة شيشنق التي تحدثت عن هذه الحملة، والتي مازالت محفوظة في معبد الكرنك، يتبين لنا ان بعض النصوص الواردة في التوراة غير صحيحة، وغير موثوقة، ولا تصلح لأن يُعْتَمَد عليها كمصدر أصلي في البحث التاريخي.

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1- ابن منظور. (د.ت.). لسان العرب، ج. 4. دار صادر.

2- ديورانت، وول. (د.ت.). قصة الحضارة، مج. 2، دار الجيل

3- غارودي، ر. (1998). الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. ترجمة م. ح. هيكل. القاهرة: دار الشروق.

4- فراس، س. (2001) تاريخ أورشاليم والبحث عن مملكة اليهود، دار علاء الدين.

5- العهد القديم

6- القرآن الكريم.

7- المسيري، ع. و. (1999). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (المجلد 4، الجزء 10). [نسخة إلكترونية].

8- -ويتلام، ك. (1999). اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني (ترجمة سحر الهنيدي). سلسلة عالم المعرفة (العدد 249). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

1- Albert, G. (2015). Le judaïsme : Toute une vie. Éditions Racine.

2- Bohrmann, M. (1988). La conception de l'histoire dans le judaïsme. Dialogues d'histoire ancienne, 14, 23–32. https://www.persee.fr/doc/

3- . La Bible.

4- Encyclopaedia Britannica. (n.d.). Legend (literature). https://www.britannica.com/art/legend-literature

5- Finkelstein, I., & Römer, T. (2019). Aux origines de la Torah : Nouvelles rencontres, nouvelles perspectives. Bayard Culture.

6- Guigui, A. (2015). Le judaïsme : Toute une vie. Éditions Racine.

7- Herzog, Z. (2002). La révolution scientifique dans l'archéologie de Eretz Israël. In I. Levine & A. Mazar (Eds.), La controverse sur la vérité historique dans la Bible (pp. 52–65). Yad Ben Zvi & Merkaz Dinour

8- Israel Finkelstein, I., & Oded Lipschits, O. (2011). The mound on the mount: A possible solution to the problem with Jerusalem. Journal of Hebrew Scriptures, 11(12). Journal of Hebrew Scriptures

9- Le Goff, J. (1988). Histoire et mémoire. Paris : Gallimard.

10- Levin, Y. (2012, July/August). Did Pharaoh Sheshonq attack Jerusalem? Biblical Archaeology Review, 38(4), 42–52, 66.

11- Pirinoli, C. (2005). Effacer la Palestine pour construire Israël. Transformation du paysage et enracinement des identités nationales. Études rurales, (173–174), 67–83. https://doi.org/10.4000/etudesrurales.8132

12- Sand, S. (2008, août). Comment le peuple juif fut inventé. Le Monde diplomatique. Le Monde diplomatique

13- Scholem, G., Bollack, J., & Bourdieu, P. (1980). L'identité juive : Entretiens avec Gershom Scholem. Actes de la recherche en sciences sociales, 35, 3–19. Persée

14- Spinoza, B. (n.d.). État et religion. ENS Éditions. https://books.openedition.org/enseditions/6257.

15- The Jerusalem Post. (1967, August 10). (Issue No. 11978).

16- Whitelam, K. W. (1997). The invention of ancient Israel: The silencing of Palestinian history. Routledge.

17- Yerushalmi, Y. H. (1984). Zakhor : Histoire juive et mémoire juive. Paris : Gallimard.